

الباب الخامس عشر

فيمن مُنِع من الدخول فاحتال وتسبّب
إلى الوصول

- حيل وأسباب ملفقة :
- بنان يرهن خاتمه !
- بنان يكتري سُلماً !
- من حيل أشعب !
- طفيلي يحمل رسالة إلى العروس !
- طفيلي في مرآة شاعر !
- طفيليان ينزلان على مائدة طفيل !
- خبر طريف في مثل هذا المعنى !
- رد بعض الطفيليين على من لامه !
- ردود مفحمة !!

الباب الخامس عشر

(فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول)

بنان يرهن خاتمه !

قال بعضهم : مرَّ بنان بعُرسٍ ، فأراد الدخول فلم يقدر ! ؛ فذهب إلى بقال ، فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح .

وجاء إلى باب العُرس ، فقال :

يا بواب ! افتح لي ؛ فقال له البواب :

ومن أنت ؟ قال : أراك لستَ تعرفني !

قال : لا .

قال : أنا الذى بعثونى لأشتري لهم الأقداح ! ؛ ففتح له البواب ؛ فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ أخذ الأقداح^(١) ، وقال :

يا بواب ! يريدون « ناصحية » ؛ فافتح لي حتى أردّ هذه !

فردّها على البقال ، وأخذ خاتمه !

بنان يكثرى « سُلماً » .

وجاء — أيضا — بنان إلى وليمة فأغلق البابُ دونه ، فاكثرى^(٢) سُلماً ، ووضعهُ على حائط الرّجل ، وتَسَوَّرَ ، فأشرف^(٣) على عِيال الرجل وبناته ! فقال له الرجل :

يا هذا ! أما تخافُ اللهَ !! رأيتُ أهلى وبناتى !

فقال له : يا شيخُ : ﴿لقد علمتَ مالنا فى بناتِكَ من حقٍّ وإنك لتعلمُ ما

نريدُ﴾^(٤) .

(١) الأقداح : جمع قَدَح : آنية تُروى الرجلين ، أما العلاكية والناصحية فلعلها صنفان أو نوعان لأحدهما ميزة على الآخر .

(٢) اكترى : استأجر . (٣) أشرف : أطلّ واطّلع .

(٤) وهو اقتباس جميل ، وإن كانت له إنباءات تعيد إلى الذهن المشهد والمناسبة التى قيلت فيها الآية رقم ٧٩ من سورة هود ! .

قال : فضحك الرجل ، وقال له :

انزل فكل ! فقال له بنان :

يا هذا لاتسئ الظن بالمشايخ ، واستغفر الله مما كان !

وقد حكى عن أشعب بن جبير^(١) صاحب المُلج بالمدينة نحو هذه الحكاية !

والأصل فيه : ما حكى عن مُصعب الزُبيري قال :

خرج سالم بن عبد الله مُتَنَزِّهاً إلى ناحية من نواحي المدينة وهو وحرمة وجواريه ، فبلغ «أشعب» الخبر؛ فوافى الموضع الذى هم فيه ، فوجد الباب مغلقاً فتنسّر الحائط فقال له سالم : وَيْلَكَ يا أشعب !! معى بناتى وحرمنى !! فوجّه إليه سالم من الطعام ما أكل ، وحمل إلى منزله^(٢) !

رسالة إلى العروس من أخيها !

وحكى محمد بن على الجلاب قال :

جاء طفليّ إلى عرسى ، فمُنِع من الدخول ، وكان يعرف أن أخت العروس غائب ، فذهب وأخذ ورقة كاغد^(٣) ، وطواها وختمها ، وليس فى باطنها شيء^(٤) ، وجعل العنوان :

من الأخ إلى العروس !

وجاء فقال : معى كتاب من أخى العروس إليها ! فأذن له ، فدخل ، ودفع إليهم الكتاب ، فقالوا :

ما رأينا مثل هذا العنوان !!

ليس عليه اسم أحد ؛ فقال :

وأعجب من هذا أنه ليس فى باطن الكتاب ، ولا حرف واحد ؛ لأنه كان مستعجلاً ؛ فضحكوا منه ، وعرفوا أنه احتال لدخوله ، فقبِلوه !

(١) ويضرب به المثل فى الطمع .

(٢) أى حمل طعاماً بعد أن أكل إلى منزله ، كما هو شأن الطفيليين .

(٣) الكاغد : الورق الأبيض .

(٤) ليس بها كتابة .

نُوح يَنُوح عَلَى الْبَابِ !

وقيل لطفيلَيَّ : كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخُلُ إلى عُرْسٍ ؟

قال : أنوحُ على البابِ حتى يتطَيَّرُوا^(١) مني ، فيدعوني أدخل !

نسيثُ فردةٍ حذائي في الداخل !

وقال ابن عبد الله الكرخي : مُنِعَ طُفَيْلَيَّ عن عُرْسٍ ، فذهب ؛ فأخذ إحدى نعليه في كفه ، وعلق الأخرى بيده ، وأخذ « خِلَالاً »^(٢) طويلاً فقطعه ، وأخذ محلباً^(٣) من عطار ، فلطخ به أصابعه ، وجعل يتخلل بذلك الخلال الطويل ، ودنا من الباب كالمتعجل ، فقال :

إني أكلت في الفوج الأول لشغل كان عليّ ، ولا ستعجالي أخذت فردة نعل ، ونسيت الأخرى ، ففضّل بإخراجها لي !

فقال البابُ : أنا مشغول . أدخل فاطلبه لنفسك ، فدخل ، فأكل ، وخرج^(٤) !

صورة يرسمها شاعر لبعض حيل الطفيليين :

وذكر بعض الرواة أن أبا العباس المبرد أنشد للحمدوني في طُفَيْلَيَّ :

أراك الدهرَ تطرُقُ كُلَّ عُرْسٍ	كأمرِ الله يطرقُ كلَّ لَيْلَةٍ
فإن غلظَ الحجابُ وكانَ صَغْباً	ولم تَقْدِرْ هناك على دُخَيْلَةٍ ^(٥)
أخذت لكى تُخاطِبُهُم خِلالاً	وقلت نسيثُ عندكم نُعَيْلَةٍ ^(٦)
فَلْتَهُمُ الخَوَانُ بما عليه	وتبذرْهم إلى بيض البَقِيلَةِ ^(٧)

(١) يتطَيَّرُوا : يتشاءموا . ولا طَيْرَة في الإسلام .

(٢) أعواد رفيعة يستعين بها الأكل على إخراج ما يتخلل أسنانه من طعام .

(٣) المحلب : بفتح الميم شجر له ثمر يُجعل في الطيب . وكان من عادتهم استخدام الطيب لإزالة رائحة الطعام .

(٤) وربما بدت هذه الحيل ؛ بالنسبة إلى الحيل الأمريكية في زماننا ساذجة ، لكنها على أى حال مضحكة ، وتعطى ملاح عصر مضى !

(٥) منفذ تدخل منه .

(٦) المراد : فردة نعل . وعبر عنها بمصغر « نعل » .

(٧) تبذرهم : تسبقهم ، وبيض البَقِيلَةِ . من عيون الأطمعة ، ولا يستحسن المبادرة إليها ولعلها أشبه ما تكون بـ =

وتأكل أكل ميسرة وأيضاً فلا بد لعرسك من زئله
وأنت بفضل حذقك ذاطفيل وتلك بما تزل لها طفيلة
إني ألاع إلى السخن فأدخلني !

وقال أبو عبيدة : أتينا رجلاً من بنى مخزوم ، وكان ينزل ضاحية بنى تميم فوافى
دكين الراجز ، فقال للبواب : إني ألاع^(١) إلى السخن فأدخلني !
فأبى البواب أن يدخله ، فوقف دكين على دكان وقد انصرف بعض القوم وأنشأ
يقول :

انصرف الناس وقالوا عرسُ إذا قصاعُ كالأكف خمسُ
زجلجات^(٢) قد جمعن مُلس ففقت عيّن وفاضت نفسُ
فقال له البواب : من أنت ، لا أحيك الله ؟!
فقال : أنا دكين الراجز فأدخله !

طفيليان يدخلان على طفيليّ أقام وليمة

وقال ابن المقرئ : عمل طفيلي وليمة فدخل عليه طفيليان فأصعدهما إلى غرفة له ،
حتى أطعم من أراد ، ثم نزل بهما ، فقال لهما : لا أصغر الله ممسكاً ، فأخرجهما ،
ولم يأكلا من الطعام شيئاً .

من أخبار ابن درّاج الطفيليّ !

وقد كان «لأبي سعيد بن دراج الطفيليّ» في هذا المعنى خبر طريف !
والأصل فيه : ما حكى عن «أبي على المقدسيّ» أن «ابن دراج الطفيليّ» كان من
أهل «حران» وقدم بغداد فمر بباب قوم وعندهم «وليمة» ، فدخل ، فإذا صاحب

= «لُقمة القاضي» . وإن كان بعض الشراح قال إنها من قبيل التصحيف وهي البيضة المقلية . كما في حاشية لعيون
الأخبار .

(١) ألاع : أتوقد حرصاً عليه ، ويحترق فؤادي طلباً له .

(٢) زجلجات : التي تحرك وتذهب ويحاء بها لا تقرر في موضع واحد .

الدار قد وضع سُلماً ، فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال :

اصعد يا أبى !!

قال ابن دراج ، فصعدت إلى غرفة مفروشة حتى وافينا ثلاثة عشر طفلياً !!
ثم رُفِعَ السُّلَّم ، ووضعت الموائد ، فبقى أصحابى متحيرين ، ويقولون : ما مَرَّ بنا
مثل هذا !!

قال : قلت يا فتیان ! أَيْشٌ ^(١) صناعتكم ؟!

قالوا : طُفْلِيَّة !!

قلت : فأيش عندكم في هذا الأمر الذى وقعنا فيه ^(٢) ؟!

قالوا : ما عندنا فيه حيلة !!

قلت : فإن احتلت لكم حتى تأكلوا وتنزلوا تُقَرَّوْنَ لى أُنِّى أعلمكم بالتطفيل ^(٣) ؟!

قالوا : ومن أنت — أصلحك الله — ؟!

قال : أنا ابن دراج .

قالوا : أقررنا لك قبل أن تحتال لنا .

قال : فجئت إلى صاحب الدار ، فاطلعت عليه ، والناس يأكلون ، قال :

قلت : يا صاحب الدار ! فقال : مالك ؟!

قلت : أَيْمًا ^(٤) أحب إليك ؟

تصعد إلينا بخُوان كبير ، نأكل ، وننزل ، أو أرمى بنفسى ؛ فيخرج من دارك
قتيل ، ويصير عرسك مأتماً ^(٥) ؟!

قال : وجعلت أُجَرَّ سراويل ^(٦) ، كأنى أريد أن أعدو وأرمى بنفسى ^(٧) ؟!

قال : فجعل صاحب الدار يقول :

اصبر .. ويلك ! .. لا تفعل !

(١) أَيْش : كلمة منحوتة من (أى شيء ؟) بمعناه ، وقد تكلمت به العرب . المعجم الوسيط .

(٢) ما المخرج ؟ وما جيلكم التى تتجلى فيها مهارتكم فى التغلب على المواقف الحرجة ؟!

(٣) أى تكون استفهامية مثل : «أَيْمًا زادت هذه إيماناً» ؟

(٤) سراويل : السراويل : ما يلبس لستر النصف الأسفل من جسم الإنسان .

(٥) راح يمثل أنه يتهاى للجري والعدو تمهيداً لإلقاء نفسه والرمى بها .

وجعل يعجلهم ويقول :

هذا مجنون ؛ فأصعدوا إليه خوانا !!

فأكلنا ونزلنا !!

و «ابن دراج» هذا كان قديماً من الطفيليين ، وله في التطفيل حكايات غريبة !

من حكايات ابن دراج :

وقال بعضهم : سمعت عيسى بن محمد بن أبي خالد يقول لابن دراج — وكان ابن

دراج طويلاً — :

من أى شيء طال رأسك ؟!

قال : من مزاحمة الأبواب !!

(أى : يعصرونه مع الحائط بالأبواب^(١)) .

كم تساوى النادرة عند ابن دراج ؟

وقال ابن المقرئ :

حدثني أبو عبد الله بن الجهم ، أخبرني يحيى الفراء

قال : كنت قاطعت «ابن دراج» الطفيلي على أن يُملئ على ثلاثين نادرة بدرهم ،

فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له !

فقال : إن أردت التقاوة عشرة بدرهم !

ردّ مُفجّم !!

وقال بعضهم :

لَيْم^(٢) بعض الطفيلية على تطفيله فقال :

ما صنّع الطعام إلا ليؤكل ..

وما وُضعت الموائد إلا لتُبدل ..

وما وُجدت المنازل إلا لتُدخل ..

وما قدّمت هديّةً ؛ فأتوقع رسولاً ..

(١) من شدة الزحام على الموائد .

(٢) ليم فعل ماضٍ منى للمجهول . أى لام أحدهم بعض الطفيليين .

وما أكره أن أكون ثقيلاً على من أراه بأكلٍ بخيلاً ؛ فأقتحم مجلساً ، وأتمكن
مستأنساً ، وأبسط إن رأيته عابساً . فأكل شهوتي برغمه !

وأعاود بعض الكِطَّة لأغمه^(١) !

لا أنفق درهماً ، ولا أتعِبُ خادماً ، ولذلك قلت :

كُلُّ يَوْمٍ أَجُولُ فِي عَرَصَةِ الْمَصْنُـ	رِ أَشْمُ الْقِتَارِ شَمَ الدُّبَابِ
فَإِذَا مَارَيْتُ آثَارَ غُرُورِ	أَوْ خِتَانٍ أَوْ دَعْوَةِ الْأَصْحَابِ
لَمْ أَوْدَعْ ذَوِي التَّقَحُّمِ لَا أُرُ	هَبُ سَبًّا أَوْ لَكِزَةِ الْبَوَابِ
مُسْتَهِيناً بِمَنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ	غَيْرِ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هِيَابِ
فَتَرَانِي أَلْفَ - بِالرَّغْمِ مِنْـ	كُلِّ مَا قَدَمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ
ذَاكَ أَهْنَى مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْعُورِ	مِ وَغِيظِ الْبَقَالِ وَالْقَصَابِ

أبو العراقيب المدني !

وقد حكى عن ابن داب أن هذه الأبيات لـ «أبي العراقيب المدني» الطفيلي وأولها :

قُلْ لِأَهْلِ التَّطْفِيلِ : إِنْ إِمَامٍ لَكُمْ بَيْنَ شَبَابِكُمْ وَالشَّبَابِ
وَذَكَرَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ أَبْيَاتاً عِدَّةً فِيمَا سَقْنَا إِلَّا أَنَّ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ اخْتِلَافاً ،
وبعدها :

مَا أَسَالِي : حَلَلْتُ بِالسَّادَةِ الْقَا	دَةَ أُمِّ بِالْعُلُوجِ وَالْأَعْرَابِ ^(٢)
لَا تَرَانِي أَخِيْمُ مِنْ تَبْحَةِ الْكَـ	لَبٍ وَلَا مِنْ سَفَاهَةِ الْبَوَابِ ^(٣)
يُرْهَبُ النَّاسُ مِنْ ثِيَابِهِمُ الشَّـ	قِّ وَهَمِّي هُنَاكَ شَقُّ الثِّيَابِ

طفيليّ يعجب ممن يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ !!

وقال سليمان المنقرئ :

كنت في دعوة لبعض أصحابنا ، وفي القوم طفيلي ، فجعل بعض القوم ينظر إليه ،

(١) الكِطَّة : بكسر الكاف وتشديد الظاء : البطنة والامتلاء ، أي أنني أملأ بطني فوق ما تتحمل ؛ لأغم البخيل
الذي يكره وجودي على مائدته !

(٢) العُلُوج : جمع عُلُج من كان غير عرقي .

(٣) أخيم : أجن وأخاف وأنكص على عقبي !

فقال له الطفيل :

يا فتى ! سُبْحَانَ اللَّهِ !!

ألم يَنْهَ النَّبِيُّ ﷺ : أَنْ يُتَّبَعَ الرَّجُلُ بَصَرَهُ لُقْمَةَ أَخِيهِ ؟!

وعن أبى عمرو مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لَا يُتَّبَعَنَّ أَحَدُكُمْ بَصَرَهُ لُقْمَةَ أَخِيهِ »^(١)

طُفَيْلِي يُفْخِمُ مِنْ عَرَضَ بِهِ !

وقال الجهمضمي^(٢) : كان لى جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظراً ،
وأعذبهم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً .

وكان من شأنه أتى إذا دعيت إلى وليمة يتبعنى ، فيكرمه الناس من أجلى ، ويظنون
أنه صاحب لى !

فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يَخْتِنَ^(٣) بعض
أولاده ؛ فقلت فى نفسى :

كأنى برسول الأمير قد جاء ، وكأنى بهذا الرجل قد تبعنى !!

والله لئن تبعنى لأفضحتنه !

فبينما أنا كذلك ، إذ جاء رسول الأمير يدعونى ، فبادرت ، ولبست ثيابى ،
وخرجت .

وإذا أنا بالطفيلى واقف على باب داره ، قد سبقنى بالتأهب ، فتقدمت ،
وتبعنى !

فلما دخلنا دار الأمير ، وجلسنا مقدار ساعتين ، دعا بالطعام ؛ فحضرت
الموائد ، وكان كل جماعة على مائدة ؛ لكثرة الناس ، فتقدمت إلى مائدة والطفيلى
معى ، فلما مَدَّ يده وشرع فى تناول الطعام ، قلت : حدثنا درست بن زياد عن أبان

(١) أورده المتقى الهندى فى كز العمال (٤٠٨١٦) وعزاه إلى الحسن بن سفيان عن أبى عمر .

(٢) نصر بن على أبو عمر الجهمضمي .

(٣) يُجرى لهم عملية الختان ، وهى سنة للبنين ، مكرومة للإناث . وهى مناسبة سعيدة لدى الأهل يحتفلون بها
ويطعمون الطعام . فراح يتوقع قدوم رسول عليه ليدعوه وأخذ يفكر فى متابعة الطفيلى له مما قد يخرجه ويسوء
إليه !

ابن طارق ، عن نافع ، عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال :
قال رسول الله ﷺ : « من دخل دار قوم بغير إذنهم ، فأكل طعامهم دخل
سارقاً وخرج مُغيراً »^(١) .

فلما سمع ذلك قال :
أَنْفَتُ لَكَ — أبا عمرو — من هذا الكلام ؛ فإنه ما من أحدٍ إلا وهو يظنُّ أنك
تُعَرِّضُ^(٢) به دون صاحبه !
أولاً تستحى أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيّد من أطعمَ الطعام ، وتبخّل
بطعام غيرك على مَنْ سيواك ؟! ثم لا تستحى أن تحدّث عن « درست بن زياد » (وهو
ضعيف) .

عن « أبان بن طارق » . (وهو متروك الحديث) .
تحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه ؛ لأن حكم السارق القاطع ،
وحكم المغير أن يُعزّر — على ما يراه الإمام — وأين أنت من حديث حدّثناه
« أبو عاصم النبيل » عن « ابن جريج » عن « أئى الزبير » عن « جابر » قال : قال رسول
الله ﷺ :

« طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة
يكفى الثمانية »^(٣) .

[وهو إسناد صحيح ، ومتن صحيح]

قال نصر بن عليّ :
فأفحمني ؛ فلم يحضرني له جواب !!
فلما خرجنا من الموضع للانصراف ، فارقتى من جانب الطريق إلى الجانب
الآخر ، بعد أن كان يمشى ورائى ، وسمعتة يقول :

(١) انظر جمع الحوامع للسيوطى ص ٧٧٦ وعزاه لابن النجار من حديث عائشة .
(٢) تعنيه وتقصدته وإن لم تصرح باسمه .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة : باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل حديث (١٧٩) ، وابن
ماجه فى سننه كتاب الأطعمة : باب طعام الواحد يكفى الاثنين حديث (٣٢٥٥) ، وأحمد فى مسنده
(٤٠٧/٢) ، (١٠٣/٣) ، (٣١٥) ، (٣٨٢) .

ومن ظن ممن يُلاقى الحروب بأن لا يُصاب فقد ظن عجزاً
رد على مُعَاتِب !!

وقال ابن المقرئ :

عوتب «بنان» يوماً ، وأنا أسمع فقيل له : يا بُنَّان ! وَيَحْك ! كما يكون هذا الذي
أنت فيه بسبب الأطفمة !!

تبَّ إلى الله تعالى مما أنت فيه !!

قال : — فديتكم — من يصبر عن السَّميدين :

الأبيض والأصفر ؟!

والجداء الرُّضْع ..

والفالودج المعقود ..

والله ما يزهّد في هذا عاقل !

ولا يصبر عن هذا حُرّ !!

أيهما أحبّ إلى «بنان» ؟!

قال : وقيل لـ «بنان» — وقد أكل كثيراً — : حَسْبُكَ !!

فقال : إذا كان الأجل موقوتاً ؛ فلأن أموت شبعانَ رَيَّانَ أحبُّ إلى من أن أموت

شربانَ جوعان !

